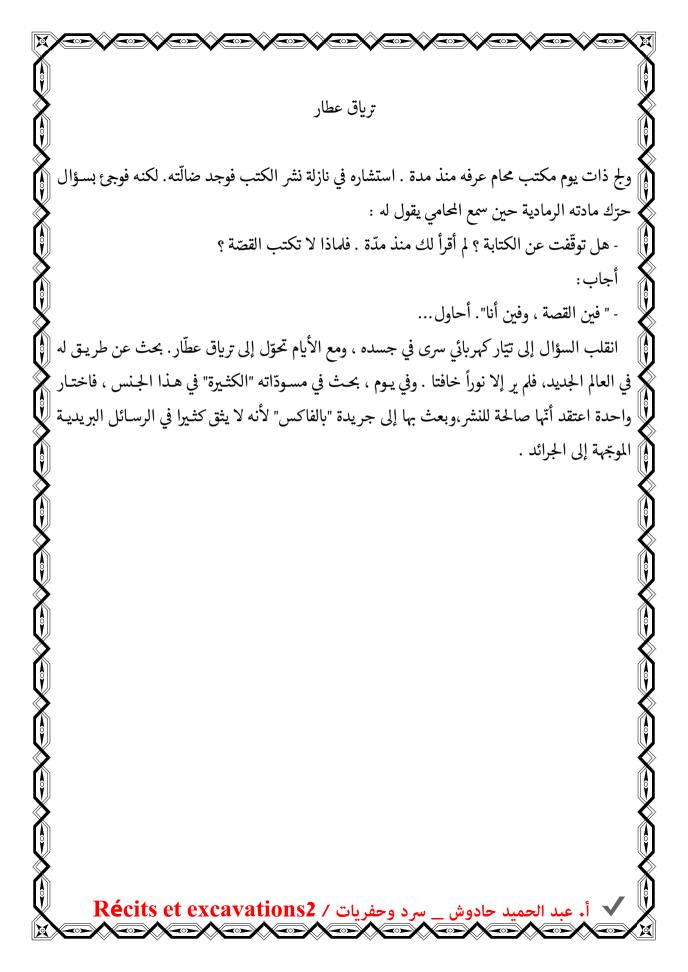




أعبد الحميد كادوش

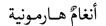
سرد وحفریات Récits et excavations

فى رحاب الكلمة ليكن في علم القارئ من أي بحر أو توجه فكري كان، أني أتـوخيّى بـهـذه الـنصـوص دغدغـة مـن نـوع خـاص ،عفـوا أن ألـقـي وليست بقصص وإن استلفت منها بعض الأسس ات، وليست بمقالات وإن كان لها الوعاء ابه ، والخلاصة أنها كتابة على كللّ حال تجمع بين الجد والهزل والواقع والخيال، وتعتنق محطات وفضاءات للتعبير وتعرية ظواهر يعيشها الإنسان على سطح هذا الكون الجميل والموبوء معا.









خرج من كوخه الصغير وقلبه منقبض ، يرافق الخطوات المتثاقلة في دقاته . ألقى نظرة خاطفة على يمينه وشاله ، وبحث عن الطريق . كان الظلام يلف مساحة المكان . سار خطوات قليلة فتستر في مكانه لصوت سمعه . إنها خشخشة مزعجة سمعها بين الأعشاب الجانبية للطريق . وضع يده في جيبه فأخرج مصباح اليد . سلّط ضوءه في عدة اتجاهات فلم يهتد إلى معرفة سبب الصوت . استأنس بالضوء الخافت لمصباحه وتابع سيره محدّثا نفسه قائلا :

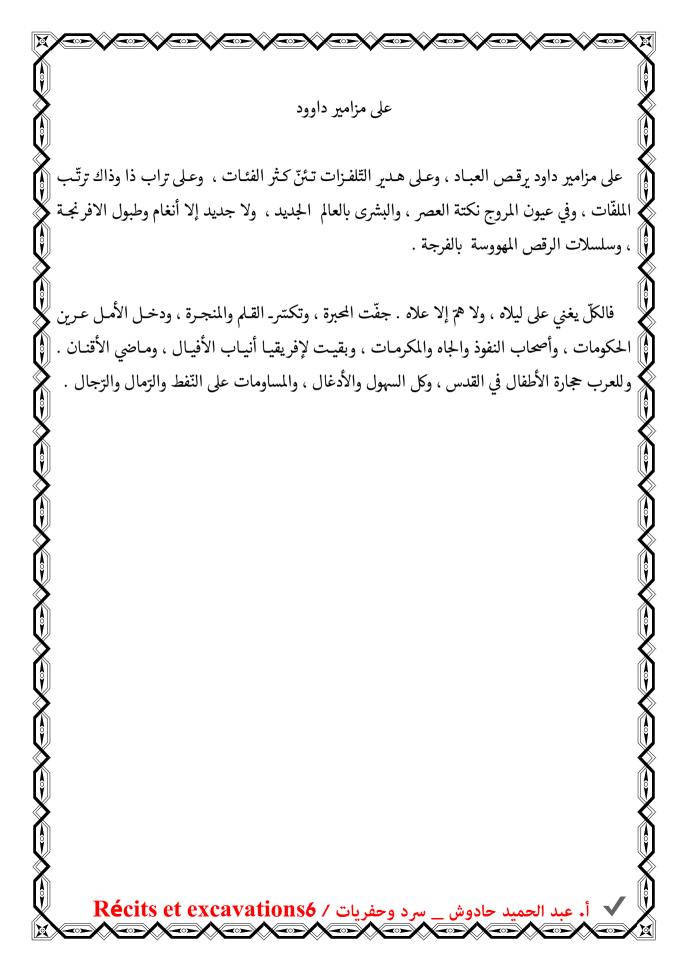
- المهمّ ، كائنات الله على الأرض كثيرة ، ولكل شأن .

مدّ يده في جيبه ثانية ، فاخرج هارمونيكا ، وبدأ يأكلها بشراهة مفرطة . أرسل أنغاما مضطربة متقطعة ، كان همّه أن يؤنس نفسه وهو يبتعد عن كوخه . كان نفسه طويلا ، وأكلته صلبة لا يستسيغها إلا المتألمون أمثاله ، أو الكادحون الذين يصبحون ويمسون ، ولا صورة لديهم إلا عن جناتهم ليصوروا للآخرين أنغاما حزينة جديرة بالاهتهام في عالم الحياة والفن الواقعي ، لأنها تخترق الظلام الدامس في كل الخطى باحثة عن آذان صاغية ، لا قطن فيها ولا كحول .

التراتب الفسيفسائي والرّاحة الفنية

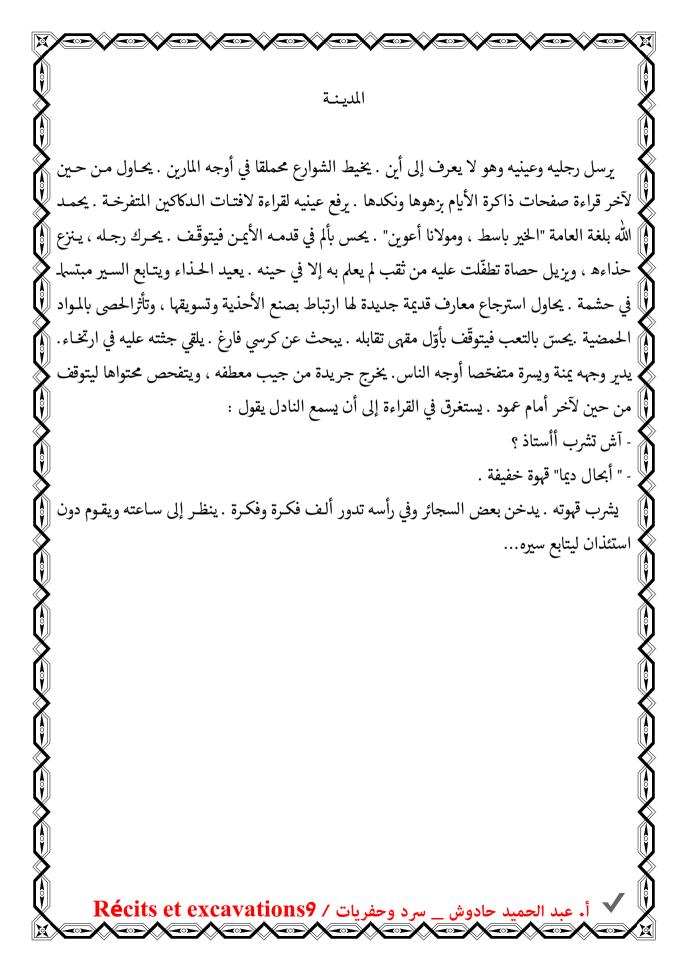
عانقت الفسحة، وناجيت البدعة، و فجرت المسكوت في زمن الصمت، والتباهي الأجوف، وسيناريوهات الخدعات المتوالية لأصرخ لا ثم ألف لا...

أ. عبد الحميد حادوش \_ سرد وحفريات / Récits et excavations5

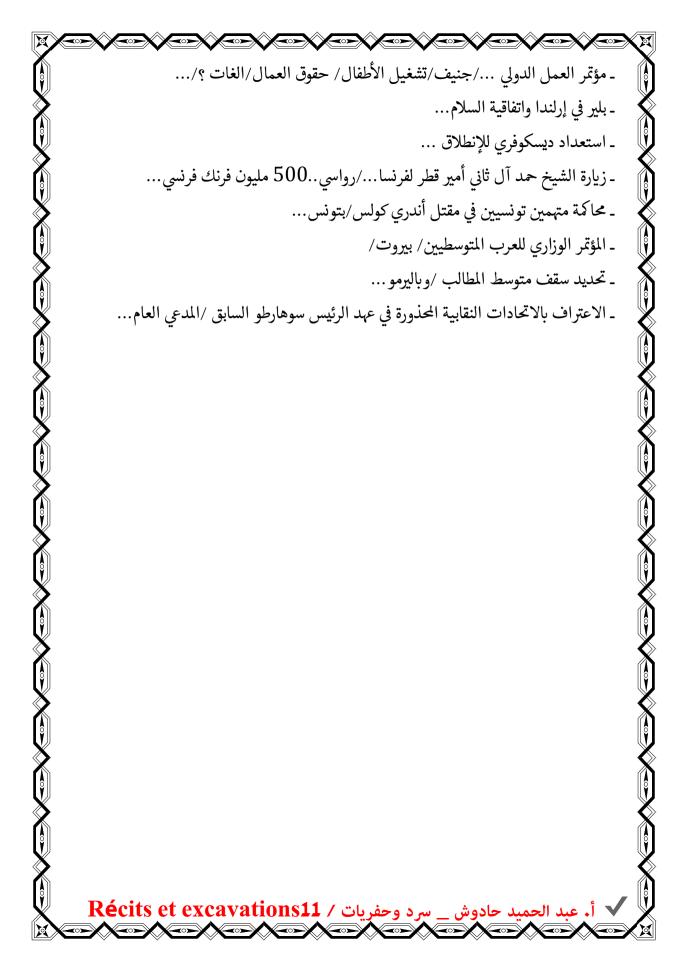




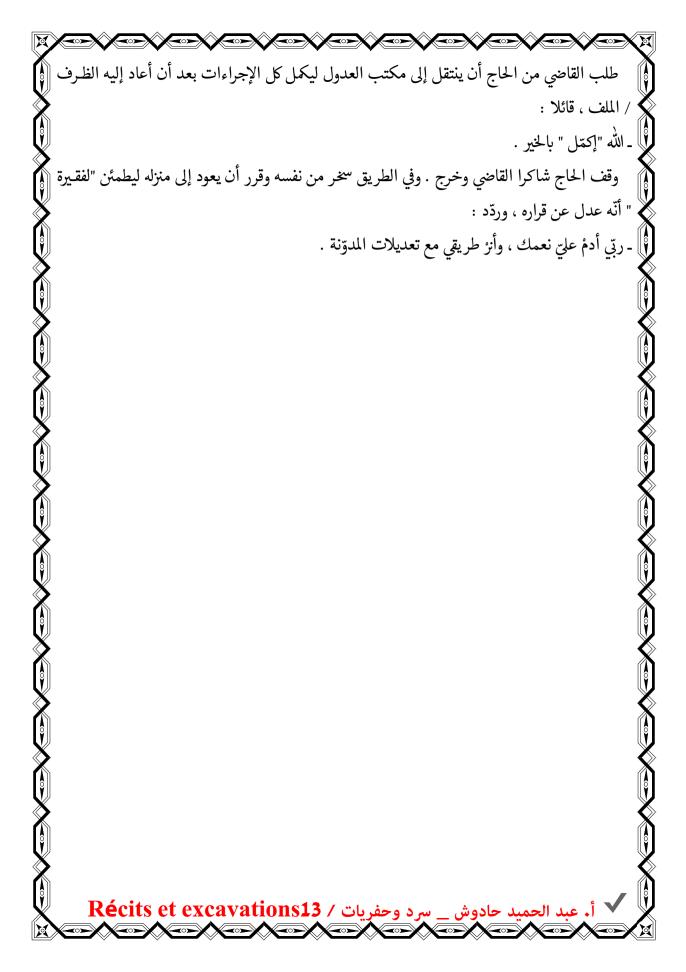
2 - من عادته أنّه لا يتوقّف عن قراءة الجرائد والمجلاّت ، حاول يوما فلم يستطع. ومن عادته أيضا أنّه يضع ملفّات لكلّ ما يقصّه من مقالات أنتجها أو أعجبته . وبينها هو يتصفّح ملفّا ، استقرّ نظره على صورة الرئيس الفرنسي الراحل فرانسوا ميتران وقرأ الجملة تحتها: ( إنّ النّظام العالمي الجديد الذي يتحدّث عنه جيمس بيكر هو بمثابة سايس بيكو جديد . فأمريكا ترسم خريطة جديدة تهدف من ورائها إلى استعباد الأمة العربية والإسلاميّة ...) . بحث عن رقم يتعرّف به على اليوم والسّنة لهذا التّصريح فلم يجد ه . فاتته الفرصة أن يرقّم القصاصة يوما وسنة . أحسّ بالتّقصير لمّا لم يجد اسم الجريدة التي انتزعها منها . حاول دون جدوى أن يسترجع ما دفعه إلى الاحتفاظ بها بين مقالات عدّة لا رابط عضويّ معها ، 1. والرّجل قد غادر هذه الدّنيا ، هل كان صادقا ، بل صائبا في تقييمه ؟. 2 وهل ورثته لهم نفس الرّأي ؟. 3ـ وهل التّصريحات لها مصداقيتها في عالمنا اليوم ، أم أنّنا نحن البسطاء " أهل النّية" نحتاج إلى إعادة التَّكُوين والدّراسة " لعلم التَّصريحات " للوقوف على الغتِّ منها والسّمين؟. استرجع الرّجل أحداثًا عديدة عاشها العالم العربي والإسلامي والإفريقي فتوصّل إلى ما توصّل إليه ، وأوقف حبل " فلاش باك ـ back -flash " ، وأنهى الحوار بجملة ( الله يعفوا علينا) ، لا لشيء إلاّ لأنّ الأمر صعب عليه ، وليس من اختصاصه . وهكذا قرر أن يشرك القرّاء معه في قراءة القصاصة شكلا ومضمونا.

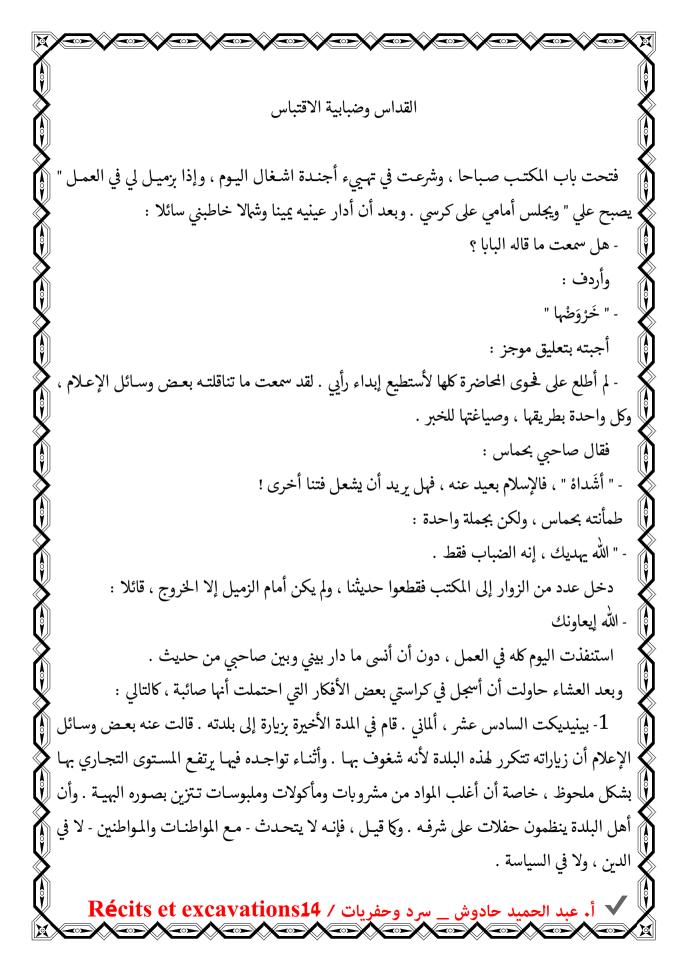


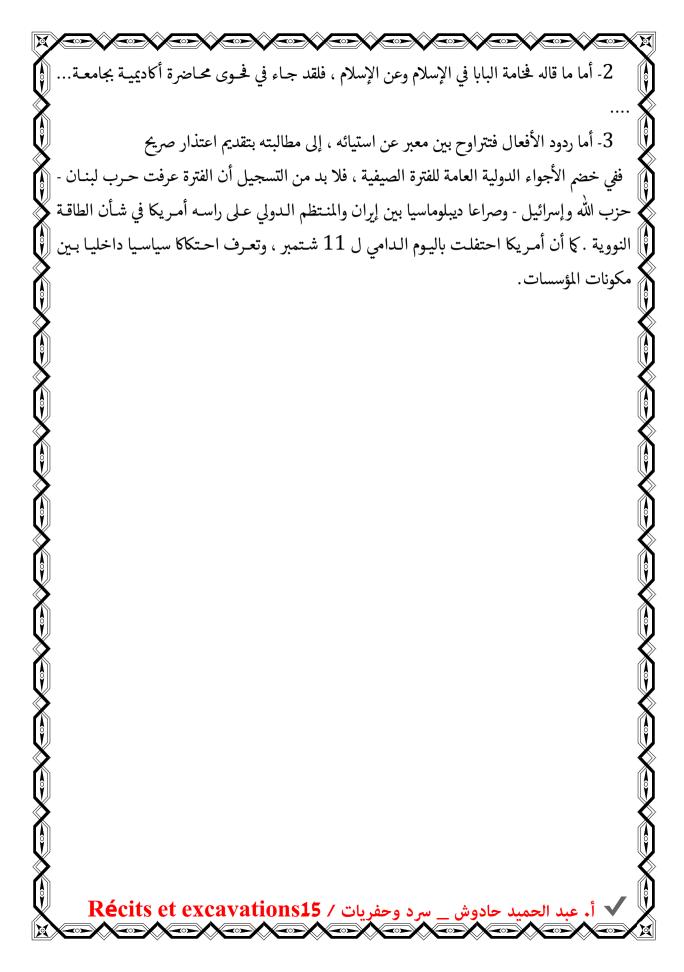
## الشاشة لا يعشق من برامج التلفزة إلا نشرات الأخبار واللقاءات الثقافية . يتعقبها دون كلل على طول وتنوع القنوات التي يعرف لغتها . دخل إلى منزله مساء يوم الثلاثاء الثاني من شهر يونيو 1998 ، وأخذ مكانه أمام الشاشة ليتنقل من قناة لأخرى كعادته . استغرقت رحلته ساعات وساعات حتى غشيه النّوم . استيقظ صباح اليوم الموالي ليجد على سريره أوراقا مبعثرة . تناولها الواحدة بعد الأخرى ، ورتّبهـ حسب رقم الصفحات وقرأ: ـ الهند والباكستان تسابق/تجارب نووية...آسيا...ارتفاع الحرارة .. 1300 موت ؟؟؟ ـ أمريكا/رد فعل/تحذير/عقوبات. ـ فلسطين/ استمرار الاستيطان .../ مواجهة المواطنين /الحجارة... ـ زيارة وزير حرب إسرائيل لمصر/ ـ 262 مليار دولار ديون الدول العربية ... ـ آراء وتحليلات حول ميزان القوى الهند الباكستانية / صواريخ/ /جيش/أرقام/ ؟؟؟ ـ خطر استعمال القنابل النووية موجود ... المفاوضات وتوقيع اتفاقيات ممكن...الخ /الخطر من الدوائر الاستعمارية... ـ زلزال في أفغانستان .../الحرب+ المآسى.../دور العالم...؟ (أ.م) (منظمة المؤتمر الإسلامي)...الخ. عمان / ومشاورات لعقد مؤتمر قمة عربية .../برنامج؟/ العراق؟/... - كوسوفو واندلاع مواجهات .../حرب؟ ـ موسكو والأزمة الاقتصادية...الدوفيز . ـ إضراب الطيران بفرنسا.../المونديال... ـ المؤتمر العربي لمكافحة المخدرات .../فياكرا ؟ ـ البرنامج الدولي والطفولة...



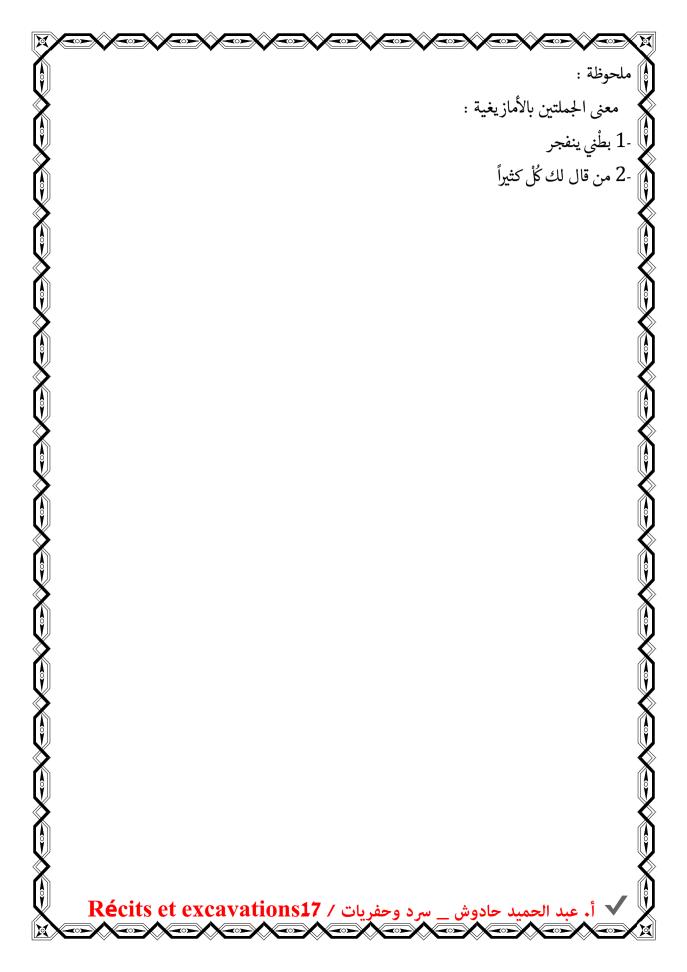


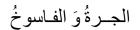












في طريقي إلى العمل صباحا لمحت جرّة مكسرة وسط الطريق. كان لها تأثير قرحي خاص على نفسيتي ومادتي الرمادية فرملت المشي، وتمعّنت في الأجزاء المتناثرة علني أكتشف ما قد يحيل على مرجعية دالة أتعرّف بها على الشكل والمحتوى كدت أن أجلس القرفصاء كعلماء الآثار، وأنهمك بعمق وتأمّل في الاكتشاف لولا هدير السيارات وحدسي بالعواقب. وفي لحظة غير منتظرة لمحت مادّة سوداء عالقة ببعض أجزاء الحوض التحتي للجرة ، فلم أتأخر من إدخال جزء في جيب معطفي مرّ اليوم كله إلى أن حان وقت الخلود للراحة ، وإذا بي أتذكر الكنز الأثري ، فلم أتأخر في تقمّص شخصية عالم الكيمياء

اعتمدت الملاحظة والشمّ واللمس إلى أن انتهيت بإحراق بقايا المادة المتخشرة. أتدرون ما هي ؟ إنها مادّة " الفاسوخ ابتدأت رحلة أخرى من التساؤلات كمثل: من أين و إلى أين ؟ من و لمن ؟ ...واختصارا للقول ، أترك لك أخي القارئ حقّ التساؤل علك تهتدي إلى ما قد يقربك من الإجابات الصحيحة

## الْعَوْدَةُ إلى الْمدرسة

دخل حجرة القسم وفي يديه دفترا بكرا وقلما ومسطرة . بحث عن رقمه وجلس على مقعد أمام طاولة في الصنف الأول انتظر حتى يُعطى له الأمر بدق الجرس . تسلم ورقة الامتحان من يد الأستاذة الحارسة ليشرع في الإجابة عن أسئلة مادة الرياضيات. تمعن في المعطيات وقرأ

س + د ) ف + م + ك

عندما يحين الوقت المناسب أجب واستجب لما يلي

ق+ف(+)١+خ+ر+ج

أصيب صاحبنا بالذهول. لم يسبق له أن درس ما يساعده ليهتدي إلى الإجابة المطلوبة . حمل ق في مشية الأستاذة وزيّها الأنشوي الكاشف فنسي الإجابة عن أسئلة الرياضيات. وفجأة أحسّ بيد تحرّك بخشونة ، وصوت حاديامره للنهو ض من الفراش والذهاب إلى العمل

أ. عبد الحميد حادوش \_ سرد وحفريات / Récits et excavations19



جلس بمقهاه المعتادة على ضفة البحر الذي لم يزره منذ أكثر من سنتين . أرخى العنان انظره، يحملق في أوجه الحاضرين عله يجد وجها مألوفا يبتسم له أو يحييه . أثار انتباهه صخب أربعة شبان كانوا حول طاولة قريبة منه . أرخى أذنيه ليعرف سبب النقاش الحاد فسمع:

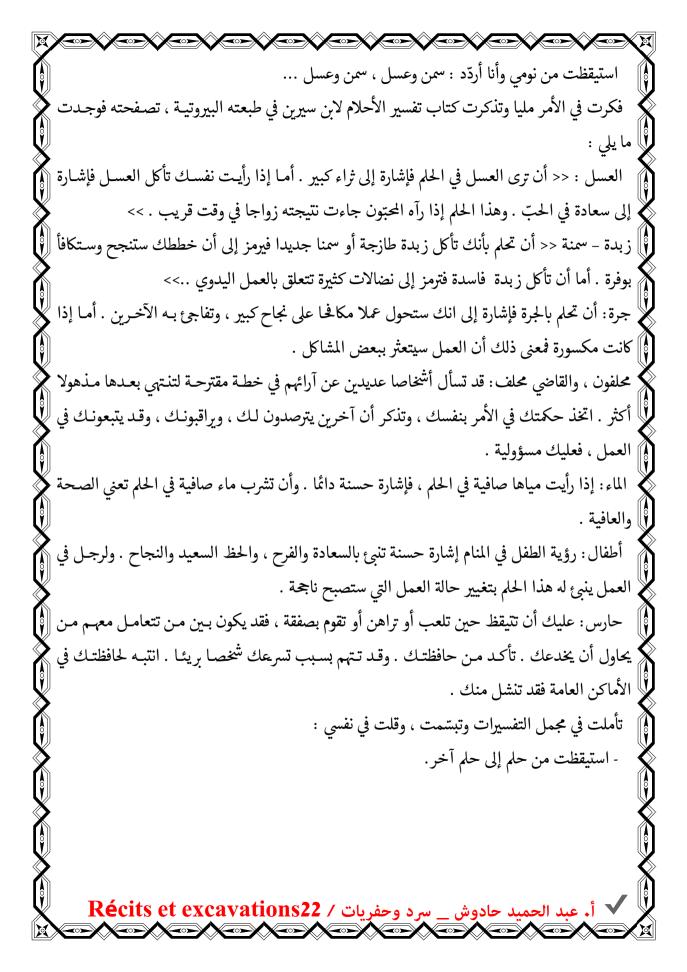
بـــلا دنـــن - بنـــد لان - نـــبلا نِــد - دلا بـــنن - لا نبـــدن - لا نـــدنب تصـــاحبها مـــن حـــين لآخــر ضـــحكات واحتجاجات

تساءل الرجل عن حقيقة ما يسمح، فقرر أن لا يرتاح باله إلا بإزاحة الغموض. وقف من مكانه وتظاهر أنه يبغي الدخول إلى المرحاض. تثاقل في سيره وهو يمر بجانب طاولة الشبان. لمح شبكة للكلمات المتقاطعة على ورقة تتوسطهم، فعلم أن الأمر لا يغدو إلا بحثا عن كلمة ما. فكر في الأمر وهو يقضي حاجته. وبينما هو عائد إلى مكانه همس في أذن أحد الشبان بلادن. أجابه مبتسما:

۔ " عارْ فينْها ، شكرا "

أ. عبد الحميد حادوش \_ سرد وحفريات / Récits et excavations20





## ذكرى في رسالة

اشترى في وقت فراغه ذكرى عندما انزوى في ركن مقهى شعبية تقع في زقاق ضيّق بمدينة بركان . اشترى في وقت فراغه ذكرى عندما انزوى في ركن مقهى شعبية تقع في زقاق ضيّق بمدينة بركان . . أرسل تنهدا عميقا وأسند ظهره إلى الحائط المكسُوّ بالطلاء الأسود ، وتوغّل ...

توغّل الرجل في انفعالات طارئة بهذا المنظر ، فراح يحملق في أوجه الحاضرين علّه يتعرّف على أحدهم . رأى الدنيا بعينه اليمنى المصابة بالرّمد ، ولحقها في ضحكة موفورة فخرا بالفوز . استقام الرجل في جلسته فرأى بعينه السليمة غضب أحد اللاعبين على تصرّف أصدقائه السّيّء. تصاعد غضبه حتى ثار في وجوههم وخاصة في وجه من يجرّونه برقبته ، آخذينه إلى إنفاق ما لديه في الجيب ، صارخاً :

ـ " مشي هكذا . لا لا ، هذا غش " .

سمعه الرجل الغريب عن المكان ، وعلم أنه لا يقبل الغش . أغمض عينيه مطأطأ الرأس في زاويته فترة . دخل دنيا تأملية أخرى . أحس بها تجذبه بكل قوّة . رضخ لها بعد أن اخترقت غشاء أذنيه وسكّت على جسمه النحيف اعوجاجا مثيرا . فتح عينيه فرأى الخفّة والتّصنّع ظاهرين على النّادل . تنبّه إلى نقيض حياته . أدخل يده في جيبه فأخرج سيجارة وعود ثقاب . دخّن في تستّر وحذر كأنّه طفل مبتدئ يخاف عقاب مراقبيه . نفخ الدخان في الفضاء وتتبّعه بعينيه والقلق باد على محيّاه . تخلّص من قلقه بالغوص في ماضيه ويده تحرك كأس القهوة بنعومة . تذكّر حبّه وسعادته ، ضيقه وانفراجه . استحضر الوجه الصبوح لفتاة أحبّ فيها وقوفها إلى جنبه أيام الحن . سمع صوتها في كل ركن من أركان المقهى . أصيب بالذهول لمّا سمع نفس العبارة ، وبنفس النّبرة . كانت تكررها عند كل صباح يهم بالخروج إلى مهامّه . تصوّرها بنفس الحركات النّاعمة حينها كانت تجلس أرضا لمسح حذائه الثقيل . نفذ إلى أعماقه بلهفة تصوّرها بنفس الحركات النّاعمة حينها كانت تجلس أرضا لمسح حذائه الثقيل . نفذ إلى أعماقه بلهفة

ـ " فيوك أتجي ؟ راني نستناك ، إوا عنداك " .

فسمعها تقول :

أحسّ الرجل بحرّ السيجارة تلهب أصبعيه فعاد من رحلته في الحين . ألقى نظرة خاطفة في أرجاء المقهى

متمتاً في امتعاض :

Récits et excavations23 / سرد وحفريات / Récits et excavations23

